IUGJEPS
Vol 26, No 5, 2018, pp 135 -164

ISSN 2410-3152

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية

تاريخ الإرسال (2017-08-09)، تاريخ قبول النشر (2017-11-11)

الانفتاح على الآخر: مفهومه وضوابطه في ضوء التربية الإسلامية

د. ربى هاشم الشبول [1]

د. سميرة عبدالله الرفاعي [2,*]

[1] قسم التربية الإسلامية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن

[2] قسم التربية الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، الأردن.

[*] البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address Dr.sasa79@hotmail.com

الملخص:

هدفت الدراسة إلى بيان مفهوم الانفتاح ومرتكزاته وضوابطه من منظور تربوي إسلامي، بالإضافة إلى بيان دور وسائط التربية الإسلامية في ضبط عميلة الانفتاح على الآخر؛ ولتحقيق الهدف المذكور اتبعت الباحثتان المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، وقسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث تناول الأول: مفهوم الانفتاح، وأهميته والموقف منه من منظور تربوي إسلامي، أما المبحث الثاني: مرتكزات الانفتاح وضوابطه، والمبحث الثالث تضمن دور وسائط التربية الإسلامية في ضبط عميلة الانفتاح، واختيرت الأسرة والإعلام من تلك الوسائط.

ومن أبرز الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة أن التعريف الوصفي "لعملية الانفتاح على الآخر من منظور تربوي إسلامي" أنها عملية ذات أسس منضبطة للتواصل والتفاعل الإنساني أخذاً وعطاءً–أي فيما نأخذ ونعطي– مع الآخر المغاير في الفكر والإيديولوجية بعيداً عن الانحراف أو الذوبان في الهوية، وأما التعريف الاصطلاحي لمركب"الانفتاح على الآخر من منظور تربوي إسلامي": مفهوم يشير إلى الاستعداد النفسي والعقلي للنظر فيما عند الآخر المغاير في الفكر والإيديولوجيا: من أفكار وخبرات والاستفادة منها بعد قراءتها قراءة نقدية فاحصة بشكل يحافظ على هويتنا الثقافية ومرتكزاتنا العقدية،، ومن أبرز مرتكزاته قبول التعددية في المجتمعات الإنسانية، ومن أبرز ضوابطه أن يكون خالياً من عقدة الانبهار بالآخر مع الاحتفاظ بروح العزة في الانتماء للدين الإسلامي، ومن أبرز توصيات الدراسة ما كان موجهاً لوسائط التربية الإسلامية وأبرزها الأسرة، في تحصين النشىء بالقيم والمبادىء الإسلامية، والتفقه بدينهم سبيلاً لتحريرهم من عقدتي الانبهار أو النقص. الكلمات المفتاحية: الانفتاح على الآخر، التربية الإسلامية.

كلمات مفتاحية: الانفتاح على الآخر، التربية الإسلامية.

Openness towards the other: its concept and controls from an Isalmic Educational perspective

Abstract:

This study aimed at showing the openness towards the other, concept and controls from an Islamic education perspective also, showing the role of Isamic education mediators in controlling the openness towards the other process, in order to achive this purpose, both researchers followed both infuctive and conductive approaches. The study devided into three courses, the first one requirement the concept of openness towards the other, its importance and attitude, from Islamic educational perspective, while the second one requirement, the openness foundations and its controls, and the third one included the role of Islamic education mediators in controlling the process of openness, so family and media were chosen from those mediators .

The most important conclnsions that the study reached, is that the descriptive definition of the process of openness towards the other from an Islamic educational perspective, is aprocess with controlled foundations for human communication and interaction within what we take and give with the other who is different in reasoning and ideology without deviating in the identity, and as for the composite definition of "openness towards the other from an Islamic educational perspective" it's a definition indicating the psychological and mental readiness to see the other's ideology; Whether their ideas or experiences, and making use of them, after they are inspected accurately, to preserve our cultural identity and foundations of creed, one of the most important foundations is the acceptance of variety in human societies, and one of the most improtant controls of it is that it's empty from the conflict of amazed with other with keeping the spirit of proud to belong to Islamic religion, and one of the most important recommendations of the study, is what was directed to Islamic education mediators such as family, in protecting the youngers by Islamic principles and values, and to be aware to their religion in order to be free from both amazed or lack conflicts

Keywords: Openness to the other, Islamic education

المقدمة

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان؛ ليكون حاملاً للأمانة في تحقيق ثلاثية: **العبودية** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)، **والعمارة** ﴿. . . هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا . .﴾ (هود: 61)، **والاستخلاف** ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ . . .﴾ (فاطر: 39) في إقامة الحق والعدل ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . . .﴾ (الحديد: 25)، وأنزل له من الدين ما يكون موافقاً لطبيعته وفطرته، وأرسل الرسل الكرام للتبليغ والتذكير أن الدين الذي منّ الله تعالى به علينا؛ إنما جاء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة؛ وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ (طه، 1–2)، وقوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: 123)، وللإنذار بأن من يعرض عن هذا الدين فإن مآله إلى الشقاء والخسران في الدارين. هذه الحقيقة العظمى لها أهمية كبيرة في بناء الإنسانية والمجتمعات، وفي التعامل مع الآخر سواء أكانوا أشخاصاً أم أفكاراً، وخصوصاً في العصر الحاضر، حيث إن التطورات مذهلة والتسارع لحق جميع المجالات.

إن الأمة الإسلامية على الرغم مما تحمله من حضارة عريقة ومتجذرة، وما تملكه من تراث أصيل ورسالة خالدة عالمية، وما تحويه من معطيات البقاء والاستمرارية؛ إلا أنها لا يمكن أن تعيش بمعزل عن العالم وتياراته الثقافية، والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فالعالم أصبح اليوم قرية صغيرة مفتوحة يؤثر ويتأثر بعضه ببعض، وتتطلب معايير سعادته واستقراره قدراً من التفاعل الإيجابي مع الآخر في شتى مجالات الحياة وما يرافقها من تطوراتٍ متتابعة وتغيرات متلاحقة.

يسير العالم من حولنا اليوم بسرعة مذهلة، والمتغيرات على الساحة الدولية لا تكف عجلتها عن الدوران، بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية؛ ما يجعل معيار القوى يميل باتجاه من يملك هذه الثورة بأدواتها ووسائلها مطوعاً إليها نشر قيمها بغثها وسمينها؛ ما يدعو العقول السليمة للنظر في الانفتاح المطلوب والمتبقي في خضم هذه المتغيرات.

إن الانفتاح على الآخر لا يعني أن نكيف أخلاقنا ومبادئنا الثابتة مع الجديد، ولكن المطلوب أن نكون مستعدين لتلمس الحق ومحاولة فهم الأفكار الجديدة وسماع وجهات النظر المختلفة، والاستفادة مما عند الآخرين إن كان نافعاً ولا يتعارض مع عقيدتنا، فضلاً عن تصدير ما تزخر به ثقافتنا من الخير للإنسانية فكراً وعملاً، وبذلك أصبح موضوع الانفتاح محل نظر للعديد من الجهود البحثية، أبرزها:

- دراسة سانو(2006م) بعنوان **(في التواصل مع الآخر: معالم وضوابط ووسائل)**، التي هدفت إلى تسليط الضوء على معالم التواصل المنشود مع الآخر، وبيان جملة الضوابط التي ينبغي مراعاتها عند التواصل مع الآخر، واقتراح جملة من الوسائل والآليات المعاصرة التي ينبغي توظيفها عند الهمّ بالتواصل مع الآخر؛ واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقسم ورقته

البحثية إلى ثلاثة مباحث رئيسة، الأول: في مصطلح التواصل المنشود ومعالمه، أما الثاني: في ضوابط التواصل المنشود مع الآخر ووسائله(آلياته)، والثالث: نحو تأسيس لعلم الغرب "غَــرْبُولوجيا""westology" مدخلاً لتحقيق تواصل مستديم مع الآخر، توصلت الورقة البحثية إلى الاستنتاجات الآتية: أن التواصل المنشود مع الآخر ينتظم جميع أشكال وصور التفاعل الإيجابيّ الرشيد والتعاون الحضاريّ والتكامل الإنسانيّ الواعي المنفتح مع الآخر بغية تمكين المسلم –أفرادًا ومجتمعات – من القيام بمهمة الخلافة لله تعالى، وعمارة الكون، وإسعاد البشريّة وفق المنهج المراد لله جلّ جلاله، كما أنّ التواصل المنشود مع الآخر لا يتوقف عند التواصل الفكريّ أو السياسيّ فحسب، بل ينتظم كذلك التواصل الاجتماعيّ والثقافيّ والتربويّ، وأن للتواصل وسائل متعددة بتعدد صوره وأشكاله ومجالاته، ومن أهمّها: الحوار، والزواج، والتبادلات الماليّة، والمعاهدات، والتبادلات الثقافيّة، وأن أهم ضوابط التواصل مع الآخر: التزام الوسطية في التواصل مع الآخر، وضرورة التمييز بين الثوابت والمتغيرات من الأحكام عند التواصل، وضرورة التكامل بين صور التواصل ووسائله واستحضار المقاصد والمآلات عند التواصل، كما اقترحت الورقة تأسيس علم جديد اصطلح عليه الباحث بعلم الغرب "غَــربُــولوجيّا" "westology"، بحيث يعنى هذا العلم المقترح بدراسة الغرب ديانة، وثقافة، وأنظمة، ومصالح، ومنهج حياة، وتاريخاً، وواقعًا بصورة علميّة موضوعيّة شاملة بعيدًا عن كل التحليلات والاستنتاجات العاطفية الظرفيّة المتقلبة والمتجددة.

- دراسة العدوان(2008م) بعنوان **(ملامح الانفتاح الثقافي في الفكر التربوي الإسلامي)**، التي هدفت إلى بيان مفهوم الانفتاح الثقافي في ضوء الفكر التربوي الإسلامي واتجاهاته وضوابطه وانعكاساته على العملية التربوية، ولتحقيق الهدف المذكور اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقسمت إلى ستة فصول، تناول الأول: الإطار العام للدراسة، والثاني: الدراسات السابقة، والثالث: مفهوم الانفتاح الثقافي، والرابع: الاتجاهات المعاصرة نحو الانفتاح الثقافي، والخامس: ضوابط الانفتاح الثقافي في الفكر التربوي الإسلامي، والسادس: الانفتاح الثقافي وانعكاساته على العملية التعليمية، كما أظهرت استنتاجات الدراسة: أن الانفتاح بمفاهيمه المختلفة هو معرفة مضامين الثقافات الأخرى مع انتقاء النافع منها والاستفادة منه انطلاقاً من الأصول الإسلامية، وأن هناك ثلاثة اتجاهات نحو الانفتاح أحدها الانفتاح المطلق، والثاني الانغلاق المطلق، والثالث الانفتاح المنضبط المبصر وهو ما تبنته تلك الدراسة، وعليه أوصت الدراسة بضرورة القيام بمزيد من الدراسات في موضوع الانفتاح لإجلاء المفهوم والضوابط، وإعادة النظر في المناهج الدراسية بشكل يتيح للمعلم توظيف المعارف الوافدة دون تبعية أو عزلة. وأوصت الورقة أن يتمّ البدء في تنفيذ المشروع المقترح على مستوى دبلومات دراسيّة، فالدراسات العليا، ثم الدراسات الجامعيّة.
- دراسة السلمي(1430هـ)، بعنوان **(الانفتاح الفكري حقيقته وضوابطه)**، التي هدفت إلى التعرف على حقيقة المصطلح، وبيان موقف الشريعة الإسلامية من العلم والمعرفة، وضوابط الانفتاح، وتتبع تجارب الانفتاح التطبيقية، واتبع الباحث المنهج الأصولي، وقسمت الدراسة إلى خمسة مباحث، تناول الأول: حقيقة مصطلح الانفتاح، الثاني: موقف الشريعة الإسلامية من العلم والمعرفة، الثالث: ضوابط الانفتاح الفكري، الرابع: الانفتاح المحمود، الخامس: الانفتاح المذموم، وكانت أبرز الاستنتاجات: أن

مصطلح الانفتاح لا يحمل دلالة محددة يمكن إدراكها بمجرد إطلاقها فهو مصطلح سيال يستعمل بصور متعددة لدرجة التناقض، وأن الانفتاح بمفهومه العام ينقسم إلى نوعين: المحمود، والمذموم، وأن الإسلام يحث على الانفتاح المحمود من خلال الأدلة الشرعية العامة في الحث على العلم والمعرفة، والأمر بالتفكر وتأسيس العلوم بناء على الأدلة والبراهين، وأن أبرز ضوابط الانفتاح الفكري: العلم بالإسلام، والاعتزاز به، والثقة فيه، وعليه أوصت الدراسة بضرورة بناء منهج علمي في دراسة المفاهيم المعاصرة والتركيز على الآليات والمنهج النقدي للأفكار.

بعد العرض السابق للجهود البحثية، يتبين أنها تلتقي مع الدراسة الحالية في الحديث عن مفهوم الانفتاح وضوابطه عموماً، إلا أن الدراسة الحالية تفترق عنها، من حيث اقتراح مرتكزات للانفتاح مع الآخر، وهو ما افتقدت إليه تلك الجهود البحثية.

وفي ضوء ما سبق تعرض الباحثتان موضع الانفتاح من منظور تربوي إسلامي سواء في المفاهيم والضوابط والوسائط التربوية.

وعليه تضمنت الدراسة الحالية ثلاثة مباحث، هي كالآتي:

المبحث الأول: الانفتاح على الآخر: مفهومه وأهميته ومكانته من منظور التربية الإسلامية

المطلب الأول: مفهوم الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية

المطلب الثاني: أهمية الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية

المطلب الثالث: الموقف من الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية

المبحث الثاني: مرتكزات الانفتاح على الآخر وضوابطه من منظور التربية الإسلامية

المطلب الأول: مرتكزات الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية

المطلب الثاني: ضوابط الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية

المبحث الثالث: دور وسائط التربية الإسلامية في ضبط عملية الانفتاح على الآخر

المطلب الأول: الأسرة

المطلب الثاني: وسائل الإعلام

مشكلة الدراسة وأسئلتها

نظراً لما يؤكده علماء الإنثروبولوجيا في أن التفاعلات الاجتماعية رغم شدة تعقيدها وإحكام بنيتها تؤدي إلى تنوع الحياة البشرية، وتلك التفاعلات قابلة للتغير والتعددية بشكل دائم لا يتنبؤ بوقوفه عند حد معين، ما يجعل التنوع والتعدد صفة لازمة للبشر(Michael Carothers ،1990)؛ وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ...﴾(هود: 118–119)؛ لذا بات من الضروري البحث عن السمات المشتركة ونقاط الاتفاق حتى نترابط مع بعضنا البعض رغم هذا التنوع وذاك التعدد، ولا مناص لذلك إلا بالانفتاح الواعي، ما يؤكد أهميته ودواعيه.

ونظراً لما أحدثه التقدم والتطور المادي عند الآخر مع ما يقابله من تراجع تجاه الأمة على المستوى السياسي والاقتصادي وغيره، في خضم الانقسامات الفكرية ناهيك عن الجغرافية، بين مؤيد للانفتاح المطلق يربط مجاراة الرقي بالخروج على تعاليم الدين واعتبار الالتزام بالأخير علامة للانغلاق والجمود والتقوقع والتأخر، مقابل معارض مطلق للانفتاح أيضاً باسم الدين معتبراً أن الانفتاح يضيع دينه والانغلاق هو السبيل الوحيد للمحافظة على الهوية.

أما من حيث تأكيد الدراسة على خصوصية المنظور التربوي الإسلامي لموضوع الانفتاح، فقد كان انطلاقاً من رسالة الإسلام العالمية والخالدة للإنسان–محور التربية– والتي "تجاوزت بفكر الإنسان ورسالته في الحياة من القومية إلى الأمميّة، ومن الإقليميّة إلى العالميّة، ومن الانسحابيّة إلى الإقداميّة، ومن الانكفاء حول الذات إلى الانفتاح على الآخر، بل إنّ الإسلام بتعاليمه السمحة الخالدة تجاوز بفكرة التواصل بين المسلم وغيره فردًا أو جماعةً من التواصل الشكليّ المحدود إلى التواصل الفكري الموضوعيّ الواسع الشامل، ومن التكامل النظري مع الآخر إلى التكامل الحقيقيّ، ومن التفاعل السلبيّ إلى التفاعل الإيجابيّ الرشيد" (سانو، 2006م، ص 2 بتصرف يسير).

ونظراً للتوصيات التي قدمتها دراسة العدوان(2008م) ودراسة السلمي(1430هـ)، لمزيد من الدراسات والأبحاث في موضوع الانفتاح مفهومه واتجاهاته وضوابطه؛ والتركيز على منهج نقدي واع للتعامل مع المصطلحات الحديثة والأفكار المستوردة؛ وعليه فإن مشكلة الدراسة تبرز في قلة الدراسات التي تجمع بين الآراء المتفاوتة، وتتناولها من منظور تربوي إسلامي مستهد بالكتاب والسنة وما ورد في التراث الإسلامي، مسلطاً الضوء على ضوابط الانفتاح المنضبط على الآخر وحدوده المسموح بها، وهو ما جاءت الدراسة الحالية لتحقيقه.

وفي ضوء ما سبق تحاول الدراسة الحالية الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما مفهوم الانفتاح على الآخر في ضوء التربية الإسلامية؟ وما أهميته؟
2. ما موقف التربية الإسلامية من الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية؟
3. ما مرتكزات الانفتاح على الآخر في ضوء التربية الإسلامية؟
4. ما ضوابط الانفتاح على الآخر في ضوء التربية الإسلامية؟
5. ما دور وسائط التربية الإسلامية في ضبط عملية الانفتاح على الآخر؟

أهمية الدراسة

يتوقع من الدراسة أن تفيد الجهات الآتية:

1. الوالدان في الأسرة: باعتبارهما وسيطاً تربوياً وما يلزمهما من رؤية مستبصرة للانفتاح، يقدمونها للنشىء الذي بين أيديهم، في خضم التقدم التكنولوجي وسهولة الوصول إلى الآخر.

2. مؤسسات التربية والتعليم: بإعادة النظر في خططها المقدمة للشباب، بأن تكون مستنيرة بالتغيرات وقادرة على التعامل معها وفق ثوابت دون ضياع الهوية، ما يحصن هذا الجيل ويمده بضوابط الانفتاح الممنهج.
3. مؤسسة الإعلام: باعبارها وسيطاً تربوياً ومعززاً للهوية الثقافية، وذلك بانتقاء وإعداد البرامج المقدمة والتي تخدم قيم ومعايير الانتفاح المنضبط لا الاستيراد المنبهر.

حدود الدراسة

لما كان موضوع الانفتاح على الآخر موضوعاً واسعاً وعاماً، فقد اقتصرت الباحثتين على حصر الأدوار التي تقوم بها كل من مؤسستي: الأسرة والإعلام باعتبارهما من أكثر الوسائط تأثيراً على سلوك الفرد في ضبط عملية الانفتاح على الآخر.

منهج الدراسة

وقد اتبعت الباحثتان: المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال جمع النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية المتعلقة بموضوع الانفتاح، وما يتعلق بذلك في التراث الإسلامي، ومن ثم فهم هذه النصوص وتحليلها، والمنهج الاستنباطي للتوصل بعد الاستقراء إلى أبرز ضوابط عملية الانفتاح ودور وسائط التربية في ذلك.

وتجنبت الباحثتان الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة ولو كانت ذات صلة شهيرة بالموضوع مثل: "الحكمة ضالة المؤمن" وغيرها، واكتفت بالصحيح من الأحاديث، واعتمدت الحكم عليها بعد التخريج من مظان كتب أهل الاختصاص.

كما اصطلحت الباحثتان على ترميز كتب أبي حامد الغزالي المتعددة؛ لأنها لنفس المؤلف برمزين هما: أ، ب، حيث يشير:

- الرمز أ : إلى كتابه المنقذ من الضلال.
- الرمز ب: إلى كتابه إحياء علوم الدين.

المبحث الأول: الانفتاح على الآخر: مفهومه وأهميته ومكانته من منظور التربية الإسلامي

يتضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب عنونت بالترتيب: مفهوم الانفتاح من منظور التربية الإسلامية، وأهميته، والموقف من الانفتاح، وفيما يأتي تفصيلها.

المطلب الأول: مفهوم الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية

للتوصل إلى مفهوم منضبط للانفتاح من منظور التربية الإسلامية يستلزم ذلك البحث عن المعنى لغة، وفي النصوص الشرعية، والتراث الإسلامي وكذلك اصطلاحاً، وهي على النحو الآتي.

أولاً: الانفتاح لغة: بعد الرجوع إلى معاجم اللغة العربية (ابن منظور، 1414هـ، ص536، والفيروز أبادي، 2005م، ص232)، تبين أن الفَتْح(بسكون التاء): نقيض الإغلاق، ومنه قوله تعالى: ﴿...لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ...﴾(الأعراف: 40)، ومن معانيه أيضاً: الماء الجاري والنَّصر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾(الأنفال: 19).

يتبين أن مصطلح الانفتاح بحرفيته لم يرد في معاجم اللغة العربية، إنما ما ورد هو جذره الثلاثي فقط، ما يؤكد أنه من المصطلحات الحديثة.

ثانياً: الانفتاح في النصوص الشرعية

لم يرد مصطلح الانفتاح بحرفيته في النصوص الشرعية، وهذا لا يعني بحال من الأحوال نفي معانيه ومدلولاته، وهذا ما سيتبين لاحقاً.

القرآن الكريم

إن القرآن الكريم كتاب جامع شامل لكل ما ينفع الناس، فهو منهج للعبادة والسلوك والمعاملات وغيرها، في جميع الأزمان والأماكن.

ولا شك في أن الثقافة الإسلامية تعتمد في أصلها الأول وجذرها العميق على القرآن الكريم، ما يجعلها تمتلك القدرة على الحركة والتطور، كما أنها بذلك كله قادرة على مواجهة التحديات والأحداث الحضارية المختلفة.

ومصطلح الانفتاح بذاته لم يرد في القرآن الكريم، ولكن ذلك لا يمنع من ورود العديد من النصوص التي تتضمن توجيهاً للانفتاح على الآخر والاستفادة مما لديه، مشروطاً بضوابط ومرتكزات أشير إليها في العديد من الآيات، وستكتفي الباحثتان ببعض النصوص كشواهد بارزة على ذلك، تاركة بقية النصوص لتوضح في ثنايا البحث موزعة على بقية عناصر الخطة.

ففي قصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة الكهف خير دليل على الانفتاح والاستفادة مما لدى الآخر، إذ نحن معنيون بما يقول أو يفعل لا بمن قال أو فعل، فها هو سيدنا موسى عليه السلام وهو نبي وقد أوتي من العلم الكثير، ومع ذلك لم تمنعه نبوته من الاستفادة من غيره وتحصيل العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف: 65- 66).

قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ (المائدة: 31)، فلم يكتف القرآن الكريم بذكر النماذج للتفاعل وتبادل المنافع بين البشر بل تعدى ذلك لطرح جميل لكيفية استفادة الإنسان من غيره حتى الحيوان، فمن باب أولى أن نتفاعل فيما بيننا نحن البشر وننفتح على بعض لنتبادل المنافع ونحقق المصلحة.

وحتى لا يفهم من الانفتاح أنه وقوف عند حد الأخذ والتلقي فقط، جاءت الآيات الكريمة تدعو إلى العطاء الحضاري للإنسانية لمن يمتلك قيم السعادة لجميع البشر مهما تمايزوا واختلفوا، وهذا لا يكون إلا بإرشاد رباني؛ لذا حثت الآيات الكريمة على حسن خطاب الآخر ودعوته، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125)، فقد بينت الآية الأساليب التي يجب أن نسلكها في انفتاحنا ودعوتنا للآخر بالحكمة والموعظة الحسنة وهذا من روائع التعبير، فإذا كانت هناك

طريقتان للحوار والجدال أحدهما حسنة جيدة والأخرى أحسن منها وأجود، فالمسلم مطالب أن يحاور غيره بالأحسن والأجود وبتخير أرق الأساليب وأميزها لإقناع العقول(القرضاوي، 2000م).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾(آل عمران: 64)، وهذه الآية تحث على الانفتاح ومجادلة الآخر بإيجاد قواسم مشتركة، إذ أن ذلك من شأنه الوصول إلى حوار هادف ومتكافئ، مع الحفاظ على حرية الآخر في تقبل ما نعطيه من أفكار: ﴿...فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾(الكهف: 29)، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾(البقرة: 256).

السنة النبوية

لم يرد أيضاً مصطلح الانفتاح بحرفيته في السنة النبوية المطهرة، وهذا لا يمنع وروده بالمعنى والدلالة، سيما وأن السنة النبوية جاءت مفصلة ومؤيدة ومبنية لما جاء في القرآن الكريم؛ لذا ستجد من الأدلة والشواهد في السنة النبوية ما يدلل على دعوة النبي ﷺ إلى الانفتاح على الآخر والأخذ والعطاء وعدم الجمود على الموروثات، وستكتفي الباحثتان بذكر أبرز الأحاديث الدالة على الانفتاح وتقبل التفاعل المنضبط مع الآخر.

فقد طلب النبي ﷺ من زيد بن ثابت ﷺ، تعلم لغة الآخر؛ ليتمكن من معرفة ما لديه ومحاورته وأخذ الحيطة والحذر، فكما ورد أن زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قال: "أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَةَ الْيَهُودِ، وَقَالَ: «**إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي**» فَتَعَلَّمْتُهُ، فَلَمْ يَمُرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى حَذَقْتُهُ، قَالَ: «**إِنِّي كُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ، وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ**»"(المستدرك على الصحيحين 1/ 147: 252)، ولم يكن هذا الطلب إلا بعد أن تمكن من اللغة العربية، وحفظ من القرآن الكريم ما حفظ.

ويضاف إلى ما سبق استفادة النبي ﷺ من أسرى بدر في محو أمية عدد من المسلمين، حيث أنه لم يجد غضاضة في أن يستفيد من الآخرين وإن كانوا كفاراً ما دام أن ذلك يعود علينا بالنفع ولا يخالف عقيدتنا، فكما ورد أن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: "كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ لَيْسَ لَهُمْ فِدَاءٌ، «**فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِدَاءَهُمْ، أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ**»"(المستدرك على الصحيحين 2/ 152: 2621).

كما أن النبي ﷺ لم يجد غضاضة في الاستفادة من الأنظمة والبروتوكولات البريدية في رسائل الملوك كما يفعل ملوك الروم، عن أنس بن مالك ﷺ قال: «**لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له: "إنهم لن يقرؤوا كتابك إذا لم يكن مختوماً"، فاتخذ خاتماً من فضة ونقشه "محمد رسول الله" فكأنما أنظر إلى بياضه في يده**»(صحيح البخاري 7/ 157 : 5875).

وكان ﷺ حريصاً في دعوته إلى التفاعل الاجتماعي بين البشر، وتحمل آثار ذاك التفاعل ما دام صاحبه قادراً على إيصال رسالته الحق وبيان صورته حتى ولو كان ذلك بأيسر التفاعلات الاجتماعية، مأجوراً فيها غير مأزور، فقال: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»(سنن ابن ماجه 2/ 1338: 4032).

ثالثاً: الانفتاح في التراث الإسلامي

ونقصد بذلك جمع الآراء والأفكار المتعلقة بالانفتاح على الآخر عند الأوائل؛ ونظراً لاتساع ذلك، ستقتصر الباحثتان على ذكر بعض الآراء على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

- سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ لم يجد غضاضة في أخذ ما عند الحضارات الأخرى ما دام أنه يحقق النفع والمصلحة، ولا يتعارض مع مبادئنا الإسلامية، فها هو قد أخذ بنظام الدواوين عندما كثر الجند، وهو نظام فارسي لم يكن معروفاً من قبل عند العرب، وكان هذا ما سمي أوليّات عمر(ابن حزم، 1983م، والصلابي، 2005م، والمدني، 2005م)، أي الأمور التي أحدثها ولم تكن من قبل وهي من قبيل المصالح المرسلة.
- يقول ابن رشد(دت) تحت عنوان "لا يمكن لفرد واحد إدراك كل العلوم" أدرجه في كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال): "أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم: فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم، وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه، وحذرنا منه وعذرناهم"(ص27).
- يقول الغزالي(دت، أ) رحمة الله تعالى عليه: "اعلموا أحسن الله تعالى إرشادكم أن اختلاف الخلق في الأديان والملل ثم اختلاف الأمة في المذاهب مع كثرة الفرق وتباين الطرف بحر عميق غرق فيه الأكثرون وما نجا منه إلا الأقلون.... ولم أزل في عنفوان شبابي إلى الآن... أقتحم لجة هذا البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلمة وأتهجم على كل مشكلة... وأتفحص عن عقيدة كل فرقة... لأميز بين محق وباطل..."(ص 108-109).
- وأجاز ابن تيمية(2003م) الانتفاع من غير المسلمين فيما لا يتعلق بقضايا الدين من مثل أمور الطب والحساب وغيرها، بقوله: "مَا غَايَتُهُ انْتِفَاعٌ بِآثَارِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا فَهَذَا جَائِزٌ"(ج4، ص114).

بالإمكان القول أن مصطلح الانفتاح بحرفيته اللغوية لم يرد في التراث، وأن ما ورد في دلالته يشير بمجموعه إلى العمل بالانفتاح المنضبط والممنهج ولا سيما لما يؤخذ وما يتلقى عن الآخر، وهو ما شاع الحديث عنه في مقولات علمائنا السابقين دون العطاء؛ ولعل ذلك مرجعه إلى أن العطاء الحضاري بالنسبة للمسلمين الواعين لمقاصد الشريعة أمر مستقر في أفهامهم عاملين بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾(البقرة: 143)، فلم تكثر حوله المقولات.

رابعاً: الانفتاح على الآخر اصطلاحاً وصفياً ومركباً

نظراً لحداثة مصطلح الانفتاح على الآخر، فإن ذلك جعل التعريفات متباينة ومتعددة خاصة أنه يدرس في أكثر من مجال ولم يتفق الكتاب على مصطلح موحد، فلذلك ستعرض الباحثتان لعدد من المصطلحات، منها أن الانفتاح هو:

- البحث عن الحكمة إن وجدت، والسعي للحصول على الأفضل، فإن وجد الأفضل يمكن الأخذ به، وإلا تحقق الاطمئنان على أنه لم يكن بالإمكان أبدع مما كان، فهو نافع في كلا الحالتين(الأسمر، 1997م).

- الاطلاع والاستفادة مما عند الآخرين وترك الانكفاء على الذات وانغلاق عليها(السلمي، 1430هـ).
- احتضان ما توصل إليه الغرب أو الغير من علوم ومعارف تنفعنا في التقدم مع ما يلائم معاييرنا وقيمنا وإيحاءات ديننا في ما نأخذ وما ندع(الملقي، 1995م).
- الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح، والانفتاح على العالم المعاصر دون الذوبان فيه والتشديد في الأصول والتسيير في الفروع(عجالي، 2001م).

الناظر في التعريفات السابقة يلحظ أن بعضها قصر الانفتاح على الأخذ من الغرب تحديداً، وهذا تضييق للمفهوم، والبعض الآخر اقتصره على الأخذ من الآخر المغاير فقط، دون الإضافة أو حتى التقديم والعطاء، وهذا قصور في تصور المفهوم إن نظرت إليه بأحادية مطلقة للأخذ وحده أو العطاء وحده.

وقدم سانو(2006م) تعريفاً بصورة ممنهجة نأى به عن تضييق المصطلح، بمسمى (التواصل مع الآخر) أنه: "جميع أشكال التفاعل والتعاون والتكامل الإيجابيّ البنَّاء المنبثق عن الإحسان والرفق والرعاية والعناية بين المسلم والآخر –فردًا ومجتمعًا– وذلك بغية الوصول إلى ما فيه مصلحة كلا الطرفين دينًا ودنيًا، وحالاً ومآلاً، وينتظم هذا التفاعل والتعاون الإيجابيّ جانب الفكر، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، والثقافة، والتربية، وتحكمه جملة من الضوابط الفكرية والموضوعيّة والمنهجيَّة الراسخة والمستخلصة من ثنايا نصوص الكتاب الكريم والسنّة النبويّة الشريفة"(ص 5 بتصرف يسير).

وفي ضوء التعريفات السابقة، تجتهد الباحثتان في التعريف الوصفي لعملية "**الانفتاح على الآخر من منظور تربوي إسلامي**": أنها عملية ذات أسس منضبطة للتواصل والتفاعل الإنساني أخذاً وعطاءً–أي فيما نأخذ ونعطي– مع الآخر المغاير في الفكر والإيديولوجية بعيداً عن الانحراف أو الذوبان في الهوية.

وأما التعريف الاصطلاحي لمركب"**الانفتاح على الآخر من منظور تربوي إسلامي**": مفهوم يشير إلى الاستعداد النفسي والعقلي للنظر فيما عند الآخر المغاير في الفكر والإيديولوجيا: من أفكار وخبرات والاستفادة منها بعد قراءتها قراءة نقدية فاحصة بشكل يحافظ على هويتنا الثقافية ومرتكزاتنا العقدية.

المطلب الثاني: أهمية الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية

يعد الانفتاح صورة من صور الوسطية في الإسلام الواردة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ (البقرة: 143)، حيث ينظر إلى التوازن والاعتدال الذي توسم به الوسطية في الفكر الإسلامي أنه يعني التمسك بالأصول ويقبل في الوقت نفسه الاختلاف في الفروع والجزئيات، إذ التوازن في الفكر الإسلامي الوسطي يشير إلى تعدد منابع الخير والتوازن في مساراته، سواء كانت من فئات المسلمين أو من غيرهم، لأن التوازن المشار إليه

يحترم التمايز والاختلاف بين الأفكار على الرغم من تجاورها(بوادي، 2006م)، وهو الانفتاح على كل الساعين للخير من بني البشر التزاماً بمبدأ التعاون على البر والتقوى: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى... ﴾(المائدة: 2).

ما يؤكد إشارة البعض إلى اعتبار آية الوسطية لا تقف عند وصف الأمة بالخيرية والعدالة، بل هي منهج يدعو إلى العمل على ذلك لكل الأمم، وهي دعوة وظيفية وليست عقدية فقط، تجعل المسلمين أو الأمة المسلمة مرجعية لكل الناس فيما يواجهونه من تحديات، كما يحتكم إليهم في النزاع غير المتحيز(أبو عودة، 2006م)، وهذا يحقق سعادة البشرية وأمنها واستقرارها وتوازنها على مستوى الأفراد أو المجتمعات.

أما على مستوى الفرد فلا يمكن تصور أن يعيش الإنسان منعزلاً عن العالم، فالإنسان بطبيعته مخلوق اجتماعي وجد ليكون مؤثراً في المجتمع وفي غيره ومتأثراً كذلك، فنحن بني البشر لا نستطيع أن نكتفي في الحياة بحاجات الإنسان البيولوجية التي يشترك بها مع غيره من سائر المخلوقات، بل نحتاج قبل ذلك كله إلى التعايش مع الآخرين، وبات هذا الأمر محل اتفاق بين الجميع مهما اختلفت أيدولوجياتهم وجنسياتهم.

يقول ابن خلدون(1988م) في مقدمته: "أنّ الاجتماع الإنسانيّ ضروريّ ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدنيّ بالطّبع أي لا بدّ له من الاجتماع الّذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه أنّ الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصحّ حياتها وبقاؤها إلّا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله إلّا أنّ قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادّة حياته منه ولو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً فلا يحصل إلّا بعلاج كثير من الطّحن والعجن والطّبخ وكلّ واحد من هذه الأعمال الثّلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتمّ إلّا بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجّار وفاخوريّ..."(ص 54).

ويقول مايكل كاريذرس (Michael Carothers, 1990) أحد علماء الإثنروبولوجيا: "لا يمكن للفرد أن يرى تحقق نفسه وفكره إلا من خلال مرأة الآخرين؛ إذ أن الكثير من الأفكار تبرز عبر الإدراك الجمعي التفاعلي.. ونحن لا نستطيع أن نعرف أنفسنا إلا إذا عرفنا أنفسنا في علاقتنا بالآخرين"(ص 19).

وعلى مستوى المجتمعات، فإن المجتمعات التي تنمو في ظروف الانغلاق تختلف في الأداء عن غيرها من المجتمعات، التي تنمو في ظروف الانفتاح على الآخر أخذاً وعطاءاً مع المحافظة على قيمها وأسسها ومبادئها، حيث تعجز الأولى عن النهضة المحلية بكل ما تحمله من معنى، فضلاً عن تصدرها على الآخرين، في حين تنعم الثانية بأصول الحضارة ما يخدم أهلها والإنسانية، بعيداً عن النظرة الصراعية أو فلسفة البقاء للأقوى.

ويضاف إلى ما سبق أن موقف الإسلام تجاه الآخر لا يؤمن بحال الفلسفة الصراعية والبقاء للأقوى؛ لأن الإسلام يقوم على بناء جسر التواصل الإنساني منذ بزوغ فجره، وإن ما يجري وما جرى من موقف الحضارة المادية الأحادية اليوم يحتم علينا

تبني فلسفة التدافع الحضاري؛ لأن سنة الله في الخلق قائمة على الاختلاف والتمايز والتنوع، حيث يقول تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (الحاقة 7–8).

بالإمكان القول أن الانفتاح ضرورة إنسانية؛ وعليه فإن الأمة المسلمة اليوم حريّة أن توجه طاقاتها وقدراتها لأن تنفتح على بعضها البعض؛ ما يقلص نقاط الاختلاف بينها ويوسع دائرة القواسم المشتركة، وما يصحب ذلك من توسيع مفهوم الانفتاح، لحصول التواصل وتبادل المنافع والوصول إلى آراء مشتركة تهم الأمة، ومن ثم الانتقال إلى الانفتاح على الآخر بما فيه نفع للأمة.

المطلب الثالث: الموقف من الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية

لقد كان من نتائج التحول العالمي، ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، ونتج عنه طرح شعارات حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والطفل، والتعليم، والتجارة الإلكترونية والقنوات الفضائية، وغيرها من الشعارات، وانقسم المسلمون حيال هذا التحول وحيال الانفتاح على العالم إلى مؤيد ومعارض، وستذكر الباحثتان هذه الآراء على وجه الاختصار.

الفريق المؤيد

هذا الفريق يرى أن الانفتاح على العالم وقبول هذه الشعارات أمر طبيعي، وهذا التحول أمر لازم نتيجة لتطور العلاقات، ويرى هذا الفريق أن عالمنا الإسلامي يجب أن يتقبل كل ما يأتي من الغرب، باعتباره تقدم ورقي مع توجيه الاتهام للرافضين بالجهل والتخلف والرجعية؛ على اعتبار أن الانفتاح والانخراط في المسيرة العالمية والتطبع بمفاهيمها الثقافية الحديثة ضرورة حضارية من أجل اللحاق بالركب العالمي، ولو كان على حساب ضياع الكثير من الأسس والثوابت التي قام عليها مجتمعنا، ويعتمد هذا الفريق على الحركة العلمية التي تسير قهراً في طريق التحديث.

وهناك العديد ممن ينتسبون إلى الأمة تبنى هذا الرأي أمثال رفاعة الطهطاوي، وطه حسين، إذ يقول الأخير(1996م): "لا خطر من الاتصال القوي بأوروبا على شخصيتنا"، ويقول أيضاً: "لا بد أن نسير سير الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب"(ص 49) ؛ وتبريره لذلك أن من أراد الغاية أراد الوسيلة. وكذلك يقول سلامة موسى(نقلاً عن صبري، دت): "إن الرابطة الشرقية سخافة ...إننا في حاجة إلى رابطة غربية كأن نؤلف جمعية يكون أعضاؤها من السويسرين والإنجليز والنرويجيين"(ج1، ص369).

ومن سار على رأي المذكورين سابقاً عديدون منهم:علي فخرو، ومحمد عابد الجابري ومحمد أركون.

وصدق أحمد شوقي حين قال:

لا تحـــذو حـــذو عصـــابة مفتونـــة يجدون كل قـــديم أمـــراً منكـــراً
ولو استطاعوا في المجـــامع أنكـــرو من مات من آبـــائهم أو عمـــرا

الفريق المعارض

IUG Journal of Educational and Psychology Sciences (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

وهذا الفريق اختار القوقعة والانغلاق على نفسه، من منطلق خشيتهم على القيم الدينية وحماية المسلمين من أخطار تلك التيارات، فاختاروا الرفض باعتبار أن الانفتاح على العالم هو تقبل للغزو الفكري الذي يمثل قضاء على الإسلام والهوية الإسلامية، فهذا الفريق يرفض أفكار الآخرين ويرفض كل جديد يطرحه العصر ويعتمد على قناعاته الذاتية، ومثل هؤلاء الأشخاص ينتهي بهم الحال إلى العزلة والتقوقع والتخلي عن مسؤولية الحياة الكبرى(العليوات والشبيب، 1993م)، فالانغلاق والتقوقع هو من باب كتمان الحق؛ لأننا بهذه الصورة نفتح المجال للمشككين بنشر ما يخالف عقيدتنا ويشوهها ونحن واقفون نشاهد بحجة أن هذه غزو، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة: 42).

ويضاف إلى ما سبق أن البعض يصف الفريق المعارض بالجامدين الذين لا يأتلف فكرهم مع المدينة، وأنهم بذلك يحولون دون رقي العصر، مخالفين بذلك ثورة الإسلام على القديم الفاسد(أرسلان، 1989م)، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 142).

الرأي في الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية

انطلاقاً من اعتبار التربية تغيير في السلوك، وأن السلوك ما هو الا تفاعل بين الفرد وبيئته في لحظة معينة، فإن التفاعل مع ثمرات الحضارات جزء رئيس في حياة الإنسانية بوجهها التربوي، القائم على التفاعل وتبادل الخبرات، ما يجعل الانغلاق ورفض كل جديد وما يتبعه من ضعف مجانباً للصواب، وفي نفس اللحظة الانفتاح الكامل الذي يضيع الهوية مجانب للصواب أيضاً، فالمطلوب هو الانفتاح المنضبط على الآخر والممنهج، والذي يعنى بالنظر بعين البصيرة إلى الأفكار والمعطيات الجديدة ضمن معايير وضوابط، مفرقاً بين الثوابت والمتغيرات، وآخذاً بعين الاعتبار أن كل شيء في الفكر الإنساني قابل للأخذ والرد والمناقشة، والحوار، والقبول، والرفض، فهو اجتهاد بشري وليس للبشر عصمة إلا الأنبياء والرسل، فكان من قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ﷺ: "لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ"(صحيح البخاري 1/ 73: 103)، وقالها من بعدهم الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

ما سبق يدعو المسلمين أن يكون لهم نظرة نقدية، تتعمق في القضايا بكل أبعادها، وتحللها من جميع جوانبها وتخط لنفسها طريقاً(زقزوق، 2001م)، والسؤال المهم الذي يطرح نفسه هنا، ما السبب في حدوث هذا الارتباك بين فريق مؤيد ومعارض؟ لماذا لم تتقبل الأمة هذا الانفتاح والتحول الحضاري باعتدال وضوابط، وخاصة أن هذا الموقف له تأصيل إسلامي مبتدئاً بدعوة القرآن الكريم ومن ثم دعوة نبينا محمد ﷺ الذي بين لنا كيف نتعامل مع التحولات والحضارات ومن ثم الصحابة والفقهاء؟

ربما يعود ذلك إلى الأوضاع التي تعيشها الأمة بكل أبعادها: السياسية والاقتصادية والاجتماعية...، بالإضافة إلى البعد عن فهم مقاصد التشريع الإسلامي، وما سبق يؤدي إلى جمود الفكر، وغياب المثقفين الواعين عن الساحة، وهذا بدوره أنتج حلقات مفرغة ونفى التوازن الذي تحتاجه الأمة لتجنب الانزلاق من جهة، والقدرة على التكيف المناسب واستيعاب الصدمات النفسية التي

يمكن أن يخلفها من جهة أخرى؛ لذلك فإن افتقاد القدرة على التفكير الوسطي المتوازن وعدم وجود منابع فكرية تزود الأمة بالأفكار السليمة عوضاً عن الميتة، أدى إلى فراغ كبير انعكس على شكل طرفي نقيض بين انفتاح منفلت وانزلاقي، أوانغلاق متشدد عنيف.

بالإمكان القول أن موقف الإسلام من الآخر ينطلق من إقرار سنة التنوع والاختلاف والتمايز بين البشر ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ...﴾ (هود: 118–119)، والتمايز والتنوع المشار إليهما يتطلبان قدراً من التفاعل الإنساني والتعاون والتشارك بكل ما هو مشترك إنساني، أما التمايز فيكون في الخصوصية الدينية والثقافية(عمارة، 2014م).

في ضوء ما سبق يعد الانفتاح من منظور تربوي إسلامي ضرورة إنسانية، ما دام ممنهجاً ومنضبطاً بما ينأى به عن هدم الأصول أو زعزعة التمسك بها، وبمعنى تربوي آخر ما كان محافظاً على غايات الحياة كما أرادها الله تعالى، غير مصطدم بسننه في خلقه، ولا مجانباً لمقاصد التشريع السمحة فذاك هو الغاية المطلوبة، وهو العطاء الحضاري الذي تسعى التربية الإسلامية إلى إمداد أجيالها به، أما ما كان من التفاعل الإنساني في وسائل الحياة كالعلوم الصرفة وماديات الحياة، فيؤخذ بها ما دامت لا تمس الثوابت.

فإن التزم بالانفتاح بهذه الرؤية كان في ميزان الإيجابيات، وإن عدل فيه عن غير ما ذكر أصبح في مسار السلبيات، وهكذا هو شأن القضايا البشرية إن صبت في مسارها الصحيح تحصّل خيرها، وإن انحرفت عن مسارها الصواب لم يكن إلا مجانبة الخير والنفع، بالإضافة إلى ما يحدثه في نفوس الناس، بأن الشريعة صالحة فقط للتطبيق فيما بقي على حاله من أمور الدنيا دون تغيير منذ فجر الإسلام، أما ما استحدث من الأمور فإن الشريعة لا تصلح لمواجهته، وإنما الحل فيه هو استيراد "القوانين" الصالحة من الأمم المتقدمة (قطب، 1987م).

ويضاف إلى ما سبق أن الحقائق العلمية والشواهد العملية تشيران إلى ضرورة وجود تفاهم مشترك بين أصحاب الأيدلوجيات الموجودة في العالم، وبدون ذلك سيظل الصراع الفكري والتوجس وسوء الفهم، سمة مميزة في العلاقات بينهم(الحلو، 2007م).

ما سبق يدعو إلى التبصر بإيجابيات الانفتاح المنضبط على الآخر.

إيجابيات الانفتاح على الآخر

فالانفتاح المنضبط على الآخر والممنهج يؤتي ثماره بالآتي(عبد الدايم، 2000م):

1. **تمكين الأمة من القدرة على مواجهة التحديات:** تعد ثورة المعرفة والتكنولوجيا من أكبر التحديات التي تتطلب وعياً بالمستقبل؛ حتى يخرج الفرد من دائرة التبعية والانحراف إلى مستوى الفهم الواعي، والتأثير الفاعل في مجريات الأحداث، ما يمكنه من مواجهة التحديات، وهذا الأخير لا يكون إلا بالانفتاح المنضبط على الآخر، واستنهاض مسؤولية الأمة بكافة أفرادها بتمايز مكانهم ومؤهلاتهم بدءاً من العامّي وانتهاءً بالعالِم، وهو جزء من الشهود الحضاري التي تطالب به الأمة،

وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . . . ﴾(البقرة: 143).

2. **يمنح القدرة على فهم الآخر والتجاوب الفعال منه:** فالإنسان أخو الإنسان ليس من ناحيته البشرية فقط، وإنما من ناحية الانعكاسات المتبادلة والتأثيرات المشتركة، ومع التفاعل البشري يصل الإنسان للتكامل، ومع انقطاعه تنقطع الغايات البشرية ويسوء الفهم وينبع عنه عداء وصدامات ونزاعات، ويعد هذا من باب القسط، وعدم انقاص الآخرين حقهم، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 8)، ﴿ . . . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 85).

وتضيف الباحثتان إلى ما سبق من إيجابيات الانفتاح، الآتي:

3. **الانفتاح يثير الإبداع ويحقق الجديد:** فلا يمكن للفرد أن يبدع دون وجود عوامل تحركه، فالانغلاق يميت الروح الإبداعية، لذلك فإن أغلب الحضارات التي أبدعت وأعطت، هي التي واجهت تحديات وإبداعات الآخرين، فالتواصل الفكري يُغني بالأفكار الجديدة ويحقق الإبداع، وخير مثال حضارتنا الإسلامية عندما انفتحت على الآخر أبدعت وأنتجت وأعطت، وقدمت للآخر ما مكنه من صنع حضارة فيما بعد، وهو ما تشهد به الكاتبة زيغرد هونكة في كتابها المشهور" شمس العرب تسطع على الغرب".

4. **يسهم الانفتاح في إصلاح بعض السياسات التربوية الخاطئة:** واستيراد سياسات نافعة مستفيدة من تجارب الآخرين وخبراتهم، وهذا يعد جزءاً من طلب العلم النافع، وبذلك ندرك الحكمة في قول النبي ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(الألباني 2/ 727: 3911).

5. **يسهم الانفتاح في ترجمة النظريات إلى تطبيق على أرض الواقع لخدمة الإنسان:** سواء في علم النفس أو الكشف عن سنن الكون، وتسخير مخلوقات الأرض وكنوزها، والإنتاج والإبداع، وبالتالي التقدم العلمي في جميع مناحي الحياة. فآيات الله تعالى وسننه مبثوثة في الكون وهي ليست حكراً على أحد، فكل من يأخذ بالأسباب يتوصل للمنفعة بغض النظر عن معتقده، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت: 53).

6. **العطاء الحضاري وتحسين لغة الخطاب التربوي الإسلامي:** باعتبار الإسلام نموذجاً حضارياً ومتكاملاً في نظرته للكون والإنسان والحياة بما هو ملائم لفطرة البشر التي خلقها الله تعالى، وبما يحمله من قيم سامية ومطلقة ترتقي إلى أسمى درجات

الأخوة الإنسانية التي تنطلق منها الدعوة الإسلامية، التي تركز على قيمتي العدل والمساواة(الحلو، 2007م)، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ ... ﴾ (النساء: 135)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

وعليه كان حري بالأمة تصدير هذه المعطيات باعتبارها قيم مثلى للإنسانية؛ لتحقق سعادتها في اجتماعها وتجمعها، كما تستلزم إعادة النظر في لغة الخطاب بشتى مستوياته العامة أو التربوية الخاصة، وهو ما نعنيه بالانفتاح.

المبحث الثاني: مرتكزات الانفتاح على الآخر وضوابطه من منظور التربية الإسلامية

يتضمن هذا المبحث مرتكزات الانفتاح على الآخر، وضوابطه، وفيما يأتي التفصيل.

المطلب الأول: مرتكزات الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية

يتسم هذا العصر بالتغير السريع، حيث تتسارع التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعلمية بطريقة لم تكن متوقعة، فنلاحظ أن هناك نقلة سريعة بين كل سنة والتي تليها، نقلة أفقدت العالم توازنه، فلم يعد الإنسان العربي قادراً على التفكير الهادئ والتأمل في شؤون حياته ومستقبله، فهو محتار لا يعرف إلى أين تسير به الأحداث، وقد ولّد هذا عند البعض حالة من اليأس والشعور بالعجز، معلّلين ذلك بأن الأمر لم يعد بأيدينا وأننا عاجزون عن متابعة الأحداث، متناسين قول رسولنا الكريم ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»(صحيح مسلم 3/ 1523: 1920).

إزاء هذه التغيرات من الصعب أن نقف مكتوفي الأيدي، مكبلين بقيود تمنعنا من التقدم والمواكبة والانفتاح، إلا أن الانفتاح يدعو إلى أن نكون على متانة من الاستعداد الفكري والعلمي والروحي، وعلى وعي في التعامل مع الحضارات، وأن نستند على مجموعة من المرتكزات تشكل دعائم نقف عليها في انفتاحنا على الآخر، ومن هذه المرتكزات:

1. **أن ندرك أولاً الحقيقة التي قررها القرآن الكريم، وهي الأخوة الإنسانية:** أي أن الناس في نظر الإسلام جميعاً أمة واحدة تجمعها الإنسانية، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (البقرة:213)، وإن تمايزت في اللون أو العرق أو الجنس وغيرها من الفروق بين البشر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: 22)، وأن الله تعالى جعل الاختلاف في الثقافات والحضارات لحكمة، ألا وهي التعارف والتبادل فيما بين البشر فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13)، فهذا الاختلاف للتكامل وتبادل المنافع والرأي والفكر وليس للصراع أو التصادم.

2. **قبول التعددية في المجتمعات الإنسانية**(البسيط، دت): انطلاقاً من أن التمايز والاختلاف هو سنة من سنن الله تعالى في الاجتماع الإنساني، وما كان هذا التمايز إلا للتعاون والتكامل، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ...﴾(هود: 118–119)؛ وقوله: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ...﴾(المائدة:2).
3. **الوعي بأن الإنسان خلق لغاية سامية، وهي أن يعمر الأرض ويستثمرها:** قال تعالى: ﴿... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...﴾(هود: 61)، والتعمير المطلوب يتطلب التنقل في أرجاء الأرض، والانفتاح على الحضارات والثقافات للاستثمار والتعاون مع الآخرين واستخدام أسلوب الحوار.
4. **أقر الإسلام حرية التدين، فهي تعد من أرقى خصائص الإنسانية:** قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(البقرة: 256)، وقال: ﴿...فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾(الكهف: 29)، وهذا يدفعنا إلى قبول رأي الآخر النافع وإن كان مغايراً لنا في الدين والعقيدة، فلا ضير في أن نأخذ ما يفيدنا في مسيرتنا الحضارية دون أن يؤثر ذلك على معتقداتنا وثوابتنا، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾(الحج:40)، فالمدافعة الحضارية شرعت لحماية حرية التدين وقبول رأي الآخر المفيد(مراد، 2000م).
5. **معرفة أن الإسلام هو الدين الخاتم:** وليس تياراً فكرياً أو ظاهرة وقتية حتى يُخشى عليه من التيارات الفكرية الوافدة، إنه دين جذوره ضاربة في أعماق الكيان الإسلامي، وأصوله راسخة لا يخشى عليه الضياع طالما فهم المسلمون مقاصد هذا الدين فهماً سليماً(زقزوق، 2001م)، ما يؤكد أن الانفتاح على الآخر ينبغي أن يكون مدعماً بهذه الحقيقة، ومستنداً إلى فهم عميق وصحيح للإسلام، وتطبيق واع يقدم الإسلام على شكل سلوكيات تنسجم مع متطلبات العصر، وتمتلك وسائل التغيير الصالحة، وهو أحوج ما نحتاجه اليوم.
6. **التأصيل لأفكار الحضارات الأخرى:** التي هي في النهاية جهد بشري، بما يمنع الذوبان وفقدان الشخصية، لا يتم إلا إذا كنا أصحاب عقيدة ومنهج(قطب، 1987م)، ونملك الحصانة والقوة والثقة بالذات.
7. **فهم الذات:** إذ لا يستقيم أن يقف الإنسان في حالة حوار وجدل مع الآخر، دون أن يكون هو على بينة فيما يدافع أو يقنع به غيره، ما يستلزم منه دراسة وفهم وتحليل موروثه الثقافي، وثوابته المندرجة في النصوص الشرعية(إسماعيل، 2004م)؛ والإحاطة بالحكمة في أساليب تنزيلها وتطبيقها على أرض الواقع بتغير ظروف الزمان والمكان.

ويضاف إلى ما سبق الاستناد إلى تراث الأمة استناداً واعياً مميزاً بين صحيحه وسقيمه، قادراً على إحياء ما يصلح منه؛ لأن التراث وخاصة النافع منه، يشكل دافعاً قوياً للأجيال الجديدة ويعطيها عمقاً وأصالة، ويسمح لها بالامتداد في أفق الحاضر

والانفتاح، ويدخل في ذلك الإسهام الإسلامي في بناء الحضارة الإنسانية يعترف به المنصفون ويتغاضى عنها المجحفون(عليمات، 2001م).

8. **الفهم والإدراك أن العطاء الحضاري والإنجاز العلمي والثورة المعرفية ملك لبني البشر جميعاً، في أي زمان ومكان:** وعلى المسلم أن لا يتوانى في الاستفادة من الآخرين فيما أنجزوا وأبدعوا(الأسمر، 1997م)، والإفادة إليهم كذلك.
9. **اعتبار الأخلاق للأمة والإنجاز منطلق رئيس في الانفتاح:** انطلاقاً من عالمية الدعوة الإسلامية﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء: 107)، ومن باب تأكيد أن الانفتاح لا يقف عند حد الأخذ، بل العطاء الحضاري جزء لا يتجزأ منه، فهي حضارة احتواء لا إقصاء، عدالة لا استغلال، والأمة المسلمة لن يلتفت إليها الآخر، ولن يدرك جوهرية عطاءها ما لم ير نموذجاً ماثلاً أمامه على أرض الواقع، سواء على المستوى الأخلاقي أو سائر مستويات العطاء الحضاري، وفي ذلك يقول الحلو(2007م): "ليس هدفنا أن نجعل اليهودي مسلماً ولا المسيحي موحداً ولذلك نرفع شعار (دع النصوص تتكلم)"(ص 50).
10. **أن الحضارات تجارب إنسانية تراكمية:** كما هو العلم فلا يستطيع أحد أن يبدأ لوحده من نقطة الصفر أو يقصي إنجاز الآخر، بل هكذا تبنى الحضارات بتراكم هرمي يستند إلى ما مضى، وينظر إلى تجربة الحاضر ويتطلع إلى المستقبل.

المطلب الثاني: ضوابط الانفتاح على الآخر من منظور التربية الإسلامية

إن الانفتاح على العالم فكرياً وثقافياً، له آثاره المفيدة في العلوم الدنيوية، إذا كان ممن التزم بدينه وعقيدته ولا يخاف عليه الضلال، أما المطالبة بالانفتاح على الآخر دون تحديد لنوعية القضايا التي يتم فيها الانفتاح ودون تحديد للضوابط المتبعة يعتبر أمراً خطيراً؛ لأنه ليس كل شخص يقدر على أخذ المفيد وترك الضار؛ لذا لا بد من وجود ضوابط للانفتاح على الآخر، وهي:

1. **أن يكون الانفتاح بعد الفهم للعلم الشرعي –سيما في دائرة المحظورات–**

يعد الانفتاح قبل العلم بالشريعة الإسلامية مزلقاً خطيراً يجعل صاحبه يتخبط بين الأفكار والفلسفات قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ (غافر: 56)، فالشريعة تعطي حصانة واقية لانفتاحنا على الآخر، والدين الإسلامي دين شامل لكل مناحي الحياة، فلا يوجد تعارض بين العقل والنقل كما يصوره بعض المعاصرين أو يطلقون عليه "تعارض الدين والمدنية"(السلمي، 2009م)، ما يفرض على المسلم أن يكون لديه قسط وافر من مقاصد الكتاب والسنة، إذ الانفتاح لا يستقيم مع قلة العلم والخبرة، فيكون أشبه بمن دخل المنافسة على غير قدر فخسر من الجولة الأولى(القرضاوي، 2000م).

ويضاف إلى ما سبق أن يكون الشيء المقتبس ضمن دائرة المباح بعيداً عن المحظورات الشرعية؛ لذا كان العلم الشرعي بالمسائل المقتبسة أُولى ضوابط الانفتاح، إذ إن للأمة المسلمة شخصيتها ومقوماتها الخاصة، وما نأخذه يجب أن يكون منسجماً مع

قيمنا ومبادئنا، حيث نعرض ما نأخذه على معايير الإسلام وضوابطه فما كان منسجماً مع قيمنا ومبادئنا أخذناه، وخلصناه من أي شائبة قد تشوبه، يقول ابن رشد(دت): "ننظر في كل الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم فما كان منها موافقاً للحق قبلنا منهم، وسررنا وشكرناهم عليه، وما كان فيها غير موافق للحق نبهنا عليه، وحذرنا منه وعذرناهم"(ص 27).

2. **الانفتاح مع الالتزام بمقاصد الشريعة وترتيب مصادر المعرفة:** استحق الإسلام وصف العالمية، باعتباره دين شامل يحتوي على قواعد تنظيم الحياة بكافة مجالاتها، وهو ما يفهم من التأكيد لأن تكون الفتوى مستندة إلى روح الشريعة ومقاصدها السمحة التي أكدت على مصالح العباد ودرء المفاسد ورفع الحرج عنهم، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾(البقرة: 185)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، ﴿...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾(الحج: 78)، بالإضافة إلى التزام الترتيب في مصدرية المعرفة بجعل النقل المصدر الأول، وأما العقل والتجربة يليانه في الترتيب، وهنا يأتي التميُّز في ضوابط الانفتاح على الآخر التي تجعل النصوص الشرعية حاكمة لا محكومة، علماً أن المعاصرين يعبرون عن رتبية النقل والعقل بـــ"الدين والعقل"، وقد أبدع ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه "درء تعارض النقل مع العقل" في بيان أن صحيح النقل لا يتعارض مع العقل بحال من الأحوال.

وفي ضوء ما سبق يمكن القول أن كل ما لا يتعارض مع مقاصد الشريعة وروحها السمحة، ولا ينحّي النصوص الشرعية أو يحاول تعطيل العمل بها، فإنه مقبول لم يقم الدليل على رفضه.

3. **الانفتاح دون الانبهار بثقافة الغير ومع الاحتفاظ بروح العزة:** فالانهبار دليل عدم الثقة وهزالة الفكر وضعف الشخصية، فقد كان المسلمون وهم يأخذون –عن الحضارات الأخرى بعد الترجمة التي ازدهرت في العصر العباسي ما يعينهم على أداء رسالتهم في موقف من العزة(داود، 1992م)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(آل عمران: 139).

ومن الضرورة أن لا يشكل الافتتان بما بلغته حضارة الآخر من تقدم علمي وتقني عائقاً أمام حرية الانتقاء وجودته، أو سبيلاً للتبعية لهم؛ ومن ثم الذوبان أو الانسلاخ؛ فانعدام التمييز بين الغث والسمين واستمرار التلقي والاستيراد دون تمحيص أو تنقية، مع مرور الزمن يزول في حس الأمة الفاصل الحقيقي بين الإيمان والكفر(العليوات والشبيب، 1993م)، علماً أن المنصفين ذكروا ما للأمة المسلمة من فضل على أوروبا في العصور الوسطى، وفي ذلك يقول لوبون(1979م): "الحق أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني القديم إلا من ترجمتها إلى لغة أتباع محمد ﷺ ككتاب أبو لوينوس في المخروطات، وشروح جالينوس في الأمراض السارية، ورسالة أرسطو في الحجارة... وأنه إذا كانت هناك أمة تقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة"(ص 26).

وهذا تنبيه للمسلمين لئلا تضعفهم الانتصارات المادية المؤقتة التي هي دول بين الناس ﴿...وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...﴾ (آل عمران: 140)، تاركين الانتصارات المرتبطة بمعيار الديمومة وهو دين الله الحق.

4. **أن يكون لدى الإنسان استعداد نفسي تام لسماع أفكار الآخر ومناقشتها بموضوعية وطرح الأفكار بروح إيجابية والإيمان بالاختلاف في الآراء دون تعصب.**

إن الانفتاح الذي يتقبل الآخر، يستند في رؤيته إلى العدل الإلهي، وهو المساواة في الأصل الإنساني الذي يبعد البشرية عن جاهلية الحضارات قديمها وحاضرها، التي قامت على التعصب لتباينات الجنس أو اللون أو العرق أو الدين، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات: 13)، وقول النبي ﷺ:«**وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ**»(سنن الترمذي 5/ 389: 3270)، وقوله في خطبة حجة الوداع: «**يَا أَيُّهَاالنَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى**»(مسند أحمد ابن حنبل 38/ 474: 23489).

إن التباين والاختلاف من طبيعة البشر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(الشورى: 8)، فما السبيل إلى رفضه أو نقده إلا مصادمة الفطرة البشرية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(الحجرات: 13)، فحكمة الله تعالى في جعل الناس متباينين مختلفين؛ لتحقيق التعارف وتبادل المنافع فيما بينهم، بعيداً عن الانغلاق أو التقوقع على الذات، ويضاف أيضاً أن المسلم الحق يمسح من ذهنيته افتراض عدم صوابية الآخر في كل شيء، كما ينبذ العصبية الذاتية والآبائية، وهو أولى بالاتسام بسعة الصدر والتعقل والموضوعية في نظرته للآراء المتباينة(القريشي، 1998م) دون تعصب، فقد عد الغزالي(دت، ب) التعصب آفة علماء السوء، فقال: "وهو من آفات علماء السوء فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار"(ص 40).

5. **التفرقة بين الثوابت والمتغيرات في الشريعة:** فقد تميزت الشريعة الإسلامية بالمرونة، فهناك ثوابت وأصول لا يمكن العبث بها، فهي ثابتة بنص القرآن الكريم أو السنة المطهرة مثل الأحكام العقدية، والتعبدية، والأخلاقية وسنن الله تعالى في الاجتماع الإنساني، وهناك متغيرات وفروع تتسم بالأخذ والعطاء باختلاف الزمان والمكان(الحاجي، 1999م)، فهي نوازل مستجدة، فإذا أدركنا ذلك عندها ننفتح على الآخر ونحن محافظون على أصولنا ومرنين في الفروع.

ما سبق يدعو علماء المسلمين أهل الاختصاص بالعلوم الشرعية وبالأخص الفقه وأصوله، إلى التعاون مع سائر العلماء من بقية التخصصات: الاقتصاد، والطب، والعلوم، والكيمياء والتربية...؛ لإحكام النظر في مسائل الفقه من المستجدات بروح العصر ولغته، ومن المعلوم في قواعد الفقه "لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان"(الزرقا، 1998م)، فالمقصود بذلك المتغيرات لا الثوابت.

6. **أسلمة المعرفة:** يقصد بأسلمة المعرفة:"وضع صيغة إسلامية للعلوم الاجتماعية بعد نقدها نقداً صارماً واستبدال ما يصح بها في ضوء الكتاب والسنة مع استثمار ما يثبت صحته منها"(عيد، ص156-157)، ويعني ذلك إعادة توجيه العلوم والمعارف المأخوذة من الحضاة الغربية، وفق مجموعة من المعايير والضوابط المستمدة من الرؤية الإسلامية.

وتتلخص عملية الأسلمة -كما يراها طه جابر العلواني- في تحويل العلوم الطبيعية من علوم جزئية تفكيكية إلى علوم كونية وتركيبية تعنى بالكشف عن ارتباطها بالله تعالى، كما عد "أن الأسلمة ضرورة لا فكاك منها إذا أردنا ترميم حضارتنا فإن لم نستطع القيام بها فسنكون في غياب حضاري"(العلواني، 1995م، ص76-77).

المبحث الثالث: دور وسائط التربية الإسلامية في ضبط عملية الانفتاح على الآخر

تعرف التربية أنها عملية مقصودة تهدف إلى تنشئة الإنسان الصالح، وذلك من خلال تنمية جميع جوانبه المختلفة: الجسمية والعقلية والروحة، وهو ما عليه جل الباحثين(خوالدة وعيد، 2003م، والكيلاني، 2005م)، ولا تتحقق التربية السليمة والمنشودة إلا من خلال مؤسسات تربوية معنية بهذا الأمر، حيث إن المؤسسات التربوية في المجتمع، والمتمثلة بالأسرة والإعلام وغيرها من الوسائط التربوية الأخرى، تلعب دوراً كبيراً في ضبط السلوك وتعديله من جميع النواحي.

ويزداد دور هذه الوسائط في عصر تقاربت فيه الخطوات الجغرافية وتسارعت فيه التغييرات الثقافية، ما يلزم أن يتضح دور هذه الوسائط في ضبط عملية الانفتاح، بحيث تجنب أفرادها استيراد القيم المنحرفة، أو التقوقع على الأفكار الميتة، وفيما يأتي تفصيل لمؤسستي الأسرة والإعلام.

المطلب الأول: الأسرة

إن طلب الذرية الصالحة كان دأب الأنبياء والرسل ومطلبهم الرئيس، ومن سار على دربهم من الصالحين من بعدهم، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى على لسان إبراهيم -أبي الأنبياء- عليه السلام: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(الفرقان: 74)، وإنجاب الذرية الصالحة لا يتحصل إلا ببناء أسرة صاحبة رسالة ومنهج؛ لذا تعد الأسرة أهم مدرسة ينشأ فيها الطفل ويتخرج.

وعندما نتحدث عن الأسرة نقصد بها في الدرجة الأولى الوالدان، فهما عماد البيت، ويتلمس منهما أن يكونا على قدر المسؤولية أمام أبنائهم، وأن يتحليا بقدر من العلم والمعرفة والحكمة؛ لأن هذا الوعي هو الكفيل بتحديد طباع الأبناء في المستقبل وشخصيتهم، خاصة مع هذا السيل العارم من السلوكيات المتناقضة التي يتلقاها الأبناء بين الأهل ووسائل الإعلام، ومع التهميش

التدريجي لدور الأسرة، وطغيان وسائل الإعلام المختلفة في تربية الأبناء، وغياب الأبوين عن الساحة التربوية، يقول أحمد شوقي في قصيدته "قم للمعلم"(موقع كيما الإلكتروني):

ليس اليتيم من انتهى أبواه ... من هم الحياة وخلفاه ذليلاً

إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أمّاً تخلت أو أباً مشغولاً

تعد الأسرة في المنظور التربوي الإسلامي صيانة للآداب والأخلاق والأعراض، وليست استعراضاً وكشفاً لكل ما ينبغي أن يصان(قطب،1987م)، وحصانة لأفرادها والمجتمع من الانزلاق وراء تيارات التقليد الأعمى، والمشابهة لأنماط الحياة الأسرية المغايرة لفطرة الله تعالى في خلقه، والتي قامت على الفردية والأنانية دون الحشمة النفسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية، وكثيراً ما تُصدر هذه الأنماط بأسماء التمدن والتحضر والرقي مثل: استقواء الطفل، وحرية الأبناء، وتمكين المرأة وغيرها.

إن وصول تلك الأنماط من الحياة الأسرية لم يعد أمراً عسيراً في ظل التواصل العالمي الميسر اليوم، فإننا لن نستطيع أن نمنع وصول ذلك إلى أبنائنا عن طريق الأقمار الصناعية ومواقع التواصل الاجتماعي (Social Media)، ما يتطلب التفكير في التعامل معه على نحو سليم، خاصة وأن دور الأسرة هو إعداد الطفل للمستقبل وتنمية وعيه، الذي يتأثر سلباً أو إيجاباً بالانفتاح، وهذا يتطلب وعياً كاملاً من الأبوين بخطورة الموقف بالتركيز على التنشئة الإيمانية والنفسية والفكرية للأبناء، ما يمكنهم من فهم الآتي والإعداد له بكفر واع(الحاج، 2005م)، ويتلخص دور الأسرة في ضبط عملية الانفتاح من منظور تربوي إسلامي، بما يأتي:

1. **التربية الإيمانية:** تعد التربية على الإيمان من أهم واجبات الأسرة وأولوياتها، فهي ترسخ الفطرة السليمة في نفس الطفل وتزوده بأركان الإيمان وتعوده على العبادات، قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»(صحيح البخاري 2/ 100: 1385). فالتربية التي تعنى بغرس قيم الإسلام ومبادئه السمحة، تبقي الطفل مرتبطاً بدينه عقيدة وشريعة، وبناءً على هذا الاهتمام يوجه الطفل اهتماماته واختياراته، دون أن يحيد عن مبادئ الشريعة الغراء(الحاج، 2005م).

وعند استقرار الإيمان في النفس الإنسانية، فإنه يُثمر الفضائل الإنسانية العليا، ويظهر أثره على سلوك الإنسان تجاه خالقه ونفسه ومجتمعه؛ فالسلوك حلقات متتالية أولاها الفكر وآخرها ما يظهر على الجوارح من قول أو فعل ظاهر أو باطن، ضمن سلسلة من الخطوات والتراتبات؛ ما يعني أن السلوك الإنساني جذره الأول الفكر والمعتقد، فالإيمان يزود صاحبه بمعتقدات راسخة الجوانب تحصنه من أوهام الضعف والانبهار؛ وبذلك يتأكد دور الإيمان في استقامة الفكر وحماية الإنسان من التبعية الفكرية وإمعيتها.

2. **التربية على التفكير الناقد:** وذلك باحترام الأبناء بإفساح المجال لهم للتعبير عن آرائهم وعدم قمعهم، بل فتح باب الحوار والنقاش منذ الصغر لمنح الأبناء الاستقلالية في الشخصية، وأن المنع والحث بناء على اقتناع عقلي قائم على الحوار الهادئ الهادف، حيث إن الشخصية المستقبلية القوية هي التي تتمكن من مواجهة الحاضر.

ويضاف إلى ما سبق إظهار الاهتمام بما يقومون به من أعمال وتشجيعهم عليها، لأن ذلك يعمل على بناء فكرة قبول الطفل لذاته، ومن ثم قبوله للآخرين، وتبصير الأبناء بما يجري حولهم وتشجيعهم على حب الاستطلاع، والإجابة عن الأشياء التي يطرحونها والإصغاء إليهم(صالح، 1988م).

3. **التربية المعيارية:** وهي التي تقدم معايير التمييز بين الصواب والخطأ، وأولاها القيم الإسلامية، والتركيز على غرسها في سن مبكرة، بحيث تكون هذه القيم حصناً لهم من الانحراف، وسبيلاً للاختيار السديد، والسلوك القويم، وإكسابه العادات السليمة وتحصينه بالأخلاق الإسلامية.

4. **التربية على تحمل المسؤولية:** تعويد الطفل على تحمل المسؤولية منذ الصغر، لأن ذلك يجعله يرفض أو يقبل بناء على مسؤولية تجاه نفسه وتجاه أسرته وتجاه مجتمعه، فعندما يعرف الطفل أنه مسؤول أمام ربه ثم أمام أبويه، يبقى لديه رقابة ذاتية فيما يقول وفيما يفعل.

ومن أهم المسؤوليات حرصه على حمل أمانة ربه عز وجل التي هي رسالة أمته للآخر، في تصدير أحسن ما عنده، وتدريبه على الإنجاز النافع.

5. **تشجيع الطفل على التعلم من خلال توفير بيئة تعلمية مناسبة**(الحاج، 2005م): بحيث يختار له التعليم المناسب، الذي يحافظ على هويته ويتماشى مع تطورات العصر، ولا يقصد بذلك إلغاء التراث، وإنما تطويع التعليم وإلباسه ثوب العصرنة، فلا مانع من أن يتعلم الطفل التقنيات الحديثة من إنترنت وغيره ولكن بضوابط.

6. **التربية على بناء علاقات اجتماعية بنَّاءة داخلية وخارجية:** وذلك بتشجيع الطفل على بناء علاقات خارجية مع أقرانه وأن لا نغلق الأبواب عليه، بل وتزويده بالمبادىء الإسلامية ذات الصلة في التعامل مع الآخر، ثم بعد ذلك نفتح له المجال ونشجعه على بناء علاقات مع الآخرين؛ لأن الإنسان ينمو عقله بالأخذ والعطاء مع الآخرين والانفتاح عليهم.

7. **التربية على تقبل الاختلاف:** سواء في الرأي أو اللون أو الجنس وغيرها من تمايزات البشر، واعتبار ذلك من سنن الله تعالى في خلقه: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾(الأحزاب: 62)، مع التأكيد بنفس الوقت أن أيّاً منا لا يحوز الصواب برمته دائماً، وأن التمايز والاختلاف لا يفسد الوحدة الإنسانية ولا وُدّها؛ لذا يقال: "إن الاختلاف لا يفسد للود قضية"، ونقل ابن نجيم(1999م) أن الإمام النسفي الحنفي كان يقول: "إذَا سُئِلْنَا عَنْ مَذْهَبِنَا وَمَذْهَبِ مُخَالِفِينَا فِي الْفُرُوعِ، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُجِيبَ بِأَنَّ مَذْهَبَنَا صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ وَمَذْهَبَ مُخَالِفِينَا خَطَأٌ يَحْتَمِلُ الصَّوَابَ؛ لِأَنَّك لَوْ قَطَعْت الْقَوْلَ لِمَا صَحَّ قَوْلُنَا إنَّ الْمُجْتَهِدَ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ"(ص 330).

المطلب الثاني: وسائل الإعلام

نعيش اليوم عصر الثورة الإعلامية، فوسائل الإعلام سواء: المسموعة أو المقروءة أو المرئية أو متعددة الوسائط بشتى أنواعها، فرضت نفسها على الإنسان حتى في حياته الخاصة، واستطاعت أن تعبر الحدود بلا حواجز وقيود، وطرقت أبواب العالم بلا استئذان، فأصبح من السهولة استقبال مضامين ما تحمله من قيم وأفكار وغيرها، لا سيما إن قدمت بجاذبية اللون، والصوت والصورة.

فلم يعد بمقدور الإنسان أن يتجاهل دور وسائل الإعلام، ومدى تأثيرها على الأفراد من شتى النواحي: العلمية، والاجتماعية، والأخلاقية والعقلية، المختلفة تأثيراً إيجابياً وسلبياً على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم.

ومما لا يغض الطرف عنه أن بعض وسائل الإعلام في عصرنا تمارس تربية تتعارض مع كل ما تسعى التربية الأسرية إلى تحقيقه؛ ومن ذلك على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، أنها تعمل على(إبراهيم، 2003م):

1. تشجيع الاستهلاك بشكل يضر مصالح الفرد والمجتمع، وهذا يتعارض مع ما تسعى إليه التربية الإسلامية، لجعل الإنسان أكثر إنتاجاً، مع تحقيق كفايته من احتياجاته، وبذلك ندرك الحكمة في قول النبي ﷺ: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**»(صحيح البخاري 2/ 123: 1471)، وقوله: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**»(مسند أحمد ابن حنبل 20/ 296: 12981).
2. تعلم الكذب والعدوانية والعنف، والتحلل الأخلاقي، خاصة فيما تعرضه بعض أفلام الكرتون للأطفال أو حتى أفلام ومسلسلات الكبار.
3. تشييء المرأة وتسليعها، بجعلها جسداً يتعرى ويرقص ويتحرك بعشوائية معيبة، من أجل الإعلان.
4. تشوه العلاقة الراقية بين الرجل والمرأة وتبنيها على الصراع، بدلاً من المودة التي أرادها الله تعالى لاجتماع الرجل والمرأة في الأسرة بقوله:﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(الروم: 21).

ويضاف إلى ما سبق، أن عولمة القطب الأحادي اليوم تسعى جاهدة ومطوعة وسائل الإعلام لفرض ثقافة واحدة على الشعوب كلها، وتنميطها وفق رؤيتها؛ لإحكام استمرار نفوذها وسيطرتها على العالم، وهو ما أشار إليه بوش الأب في حربه الأولى على العراق بقوله: "سنفرض التقوى الأمريكية على العالم"، واستلهمها في مسيرته بوش الابن في حربه الأخيرة على العراق بقوله أنها: "حرب صليبية".

أمام هذا التحدي، بالإمكان للإعلام باعتباره وسيطاً تربوياً أن يعمل على ضبط عملية الانفتاح من منظور تربوي إسلامي، من خلال ما يأتي:

1. **الإعلام التوعوي:** وذلك من خلال العمل على:

أ. بث برامج التوعية الإعلامية، لما يدسه الإعلام السلبي أياً كانت هويتة في عقول الشباب، وبما يحقق التوازن بين التقدم المادي وما يحويه من ترف وبين الحفاظ على مبادئ الحق والخير.

ب. الإكثار من عقد مؤتمرات وندوات مع الشباب، لتوعيتهم بخطر الإعلام السلبي، ووضع أساسيات لضبط الانفتاح الإعلامي الإيجابي.

2. **الإعلام الوقائي:** مسؤولية الدولة في منع أو تشفير القنوات المنحرفة أخلاقياً، المصطدمة بقيمنا، ومبادئنا وكافة ثوابتنا.

3. **الإعلام العلاجي:** إيجاد بدائل للبرامج الضارة التي تشد عقول المشاهدين، ببرامج تتفق والرؤية الإسلامية، متنوعة ومنضبطة، وأن تؤكد برامجنا أيضاً على مسألة المشاركة السياسية لكل فرد من أفراد الأمة، ووعي الأحداث، والقضايا التي تحيط بالأمة، بدل محاولات تطميس الحقائق، فالأولى أن تصل إلى عقول الناس، ووعيهم للتأثير في قناعاتهم.

4. **الإعلام الهادف:** وذلك من خلال العمل على:

أ. تهيئة كوادر متخصصة أمينة في الإعلام الهادف، تدرس الإعلام كعلم من العلوم الحديثة مع أصوله ومناهجه؛ لإعادة صياغة تراث الأمة بطريقة أنيقة وحديثة تتناسب مع واقع الحياة المعاصر، وتضبط الغزو الإعلامي(العليوات والشبيب، 1993م)، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(آل عمران: 104).

ب. بث البرامج الهادفة إلى تعزيز مبادىء الانفتاح المنضبط على الآخر والممنهج، بالاستناد إلى مبادىء الإسلام في التعامل مع الآخر.

ج. إيصال القول للآخر: بمعنى أن وسائل الإعلام اليوم تعد فرصة للتوصل للآخر وإيصال رسالة الإسلام السمحة ومبادئه العظيمة بيسر وسهولة مقارنة بما مضى، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: 51)، مع التأكيد على تبادل الإنجاز الحضاري بما يحفظ لكلٍ هويته وكيانه، بالإضافة إلى نشر السلم العالمي.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى الاستنتاجات الآتية:

1. التعريف الوصفي لعملية "**الانفتاح على الآخر من منظور تربوي إسلامي**": أنها عملية ذات أسس منضبطة للتواصل والتفاعل الإنساني أخذاً وعطاءً–أي فيما نأخذ ونعطي– مع الآخر المغاير في الفكر والإيديولوجية بعيداً عن الانحراف أو الذوبان في الهوية. وأما التعريف الاصطلاحي لمركب"**الانفتاح على الآخر من منظور تربوي إسلامي**": مفهوم يشير إلى الاستعداد النفسي

والعقلي للنظر فيما عند الآخر المغاير في الفكر والإيديولوجيا: من أفكار وخبرات والاستفادة منها بعد قراءتها قراءة نقدية فاحصة بشكل يحافظ على هويتنا الثقافية ومرتكزاتنا العقدية.

2. من أبرز مرتكزات عملية الانفتاح المنضبط: إدراك معنى الأخوة الإنسانية بالغائية التي وضعها القرآن الكريم، وقبول التعددية في المجتمعات الإنسانية، وإقرار الإسلام لحرية التدين، وفهم الذات، وأن العطاء الحضاري تراكمي وخيريته للبشرية جمعاء انطلاقاً من عالمية الدعوة الإسلامية وغائيتها في عمارة الأرض. ومن أبرز ضوابط الانفتاح على الآخر –المتلخصة في الشخص المُنفتح– وهي أن يكون: بعد الفهم العميق للعلم الشرعي سيما في دائرة المحظورات، والالتزام بمقاصد الشريعة وترتيب مصادر المعرفة، وخالياً من عقدة الانبهار بالآخر مع الاحتفاظ بروح العزة في الانتماء للدين الإسلامي، ولديه الاستعداد النفسي للنقاش بموضوعية دون تحيز، والقدرة على التفرقة بين الثوابت والمتغيرات والتوجيه الإسلامي للعلوم.
3. يتلخص دور الأسرة–باعتبارها الوسيط الأول للتربية الإسلامية– في ضبط عملية الانفتاح على الآخر: بتربية أبنائها على: الإيمان، والتفكير الهادف، والتربية المعيارية، وعلى تحمل المسؤولية، وعلى تقبل الاختلاف، وعلى بناء علاقات اجتماعية بناءة داخلية وخارجية وعلى توفير بيئة تعلمية مناسبة بالإضافة الى تقديم القدوة. كما يتلخص دور الإعلام في ضبط عملية الانفتاح–باعتباره وسيطاً ذا أهمية للتربية الإسلامية– بالعمل على إيجاد الإعلام: التوعوي، والهادف، والوقائي والعلاجي، ولكل مواصافته المحددة.

وفي ضوء استنتاجات الدراسة، توصي الباحثتان بالآتي:

1. كليات الشريعة الإسلامية بكافة تخصصاتها: وذلك بالعودة إلى التراث الإسلامي والتشريع الفقهي بما فيه من الكفاية، لإعداد المسلمين في العصر الحاضر بكل الأساليب التي تحل كل ما يواجههم من مشكلات معاصرة.
2. وسائط التربية الإسلامية:
   - أبرزها الأسرة: في تحصين النشىء على القيم والمبادىء الإسلامية، والتفقه بدينهم سبيلاً لتحريرهم من عقدتي الانبهار أو النقص.
   - تفعيل دور وسائل الإعلام–باعتبارها القوة الضاغطة في العالم اليوم– فنحن بأمس الحاجة إلى تفعيل ذلك الدور في التصدي لحملات الموجه ضد الأمة، نحتاج إلى إعلام يعكس ثقافة الأمة ويخدم تراثها ويرفع مستوى الوعي في أوساطها النخبوية والشعبية.
3. مؤسسات التعليم العالي: وذلك للعمل الممنهج والمخطط على إعادة بناء النسق الثقافي المعاصر لشباب هذه الأمة، بالقراءة الفاحصة والمتأنية لمصادر ثقافتها (الكتاب والسنة والتاريخ)، والتوصل إلى منهجية قادرة على التعامل السليم مع كل هذا وإعادة تشكيل العقل المسلم.

4. مؤسسات التربية والتعليم: بتعريف النشىء على أصول الثقافة الإسلامية ومنهجها المتكامل، ولا بأس من الاستعانة بالأساليب الغربية لا الأفكار التي تؤدي إلى سرعة النهوض بالأمة، وبالتالي تنشئة أولادنا في مدارس لا نكتفي بمسمى إسلاميتها دون الجوهر.

تلك لمحات سريعة عن الانفتاح على الآخر في ضوء التربية الإسلامية، جمعت الباحثتان ما استطاعتا؛... فإن قاربتا الهدف فذلك فضل من الله تعالى، وإلا فمن طبيعة الإنسان النسيان والتقصير ولكن عزائنا في ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 286).

وتقترح الدراسة الحاجة إلى مزيد من البحوث من منظور التربية الإسلامية في المجالات الآتية:

1. تحرير المصطلحات ذات الصلة بالانفتاح على الآخر مثل "المعاصرة، العصرنة، المواكبة، التحضر، التواصل مع الآخر": وتوجيه ذلك للخروج من مأزق التداخل بين الأصالة والتجديد بين ما يجب أن نبقى عليه وما يجب أن يتغير.
2. التجديد: بإعادة إحياء الدين كما كان عليه السلف الصالح، ولكن بطريقة تضمن المرونة لهذا الدين والاستفادة من معطيات العصر الحديث ومعطيات العلم والتكنولوجيا، وذلك بإغناء ثقافتنا لتصبح حية تتفاعل مع الحياة بواقعها بشكل متين وأنيق.
3. تأصيل الفكر الإسلامي الحضاري: بربط الدين الإسلامي بمنابعة الأصيلة إيماناً وعملاً وتجريد هذا الفكر عن الفلسفات الجاهلة التي نسبت إليه وهو منها براء.

والحمد لله رب العالمين،،،

قائمة المصادر والمراجع

إبراهيم، مفيدة. (003م). *دور التربية في المستقبل الوطن العربي*. ط1.عمّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

أرسلان، الأمير شكيب.(1989م). *لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم*. ط1. القاهرة: دار البشير.

إسماعيل، سعيد.(2004م). الخطاب التربوي الإسلامي، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، (100)24.

الألباني، محمد ناصر الدين.(دت). *صحيح الجامع الصغير وزياداته*. دط. دم: المكتب الإسلامي.

البخاري، محمد بن إسماعيل.(1422هـ). *صحيح البخاري*. (تحقيق: محمد الناصر). ط1. دم: دار طوق النجاة.

البسيط، أحمد. (دت). *منهج الإسلام في العلاقة مع غير المسلمين*. دط. دم: دار الضياء.

بوادي، حسنين.(2006م). *الوسطية: حياة وحضارة*. ط1. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.

الأسمر، أحمد رجب.(1997م). *فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء*. ط1.عمّان: دار الفرقان.

الترمذي، محمد بن عيسى.(1975م). سنن الترمذي. (تحقيق: أحمد شاكر وآخرون) ط2. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(2003م). *مجموع الفتاوى*. ط1. المدينةالمنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

الحاج، خيّره. (2005م). *الوعي بالمستقبل ودور وسائط التربية في تنميته من منظور إسلامي*(رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة اليرموك، الأردن.

الحاجي، محمد.(1999م). *العولمة أم عالمية الشريعة الإسلامية*. ط1. دمشق: دار المكتبي.

الحاكم، محمد بن عبدالله.(1990م). *المستدرك على الصحيحين*. (تحقيق: مصطفى عطا). ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حزم الأندلسي، علي.(1983م). *جمهرة أنساب العرب*. (تحقيق: لجنة من العلماء). ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

حسين، طه.(1996م). *مستقبل الثقافة في مصر*. ط1. القاهرة: دار المعارف.

الحلو، منصور.(2007م). *حوار الحضارات*. دط. الإسكندرية: دار منشأة المعارف.

ابن حنبل، أحمد.(2001م). *مسند أحمد*. (تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون). ط1. دم: مؤسسة الرسالة.

ابن خلدون، عبد الرحمن.(1988م). *مقدمة ابن خلدون*. (تحقيق: خليل شحادة). ط2. بيروت: دار الفكر.

خوالدة، ناصر وعيد، يحيى.(2003م). *طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية*. ط2. عمان: دار الجيل.

داود، منى عبد الله (1992م). *جوانب من الواقع المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية*(رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة اليرموك، الأردن.

ابن رشد، محمد بن رشد القرطبي.(دت). *فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال*. (تحقيق: محمد عمارة). ط2. دم: دار المعارف.

زقزوق، محمود.(2001م). *الإسلام في عصر العولمة*. ط1. القاهرة: مكتبة الشرف.

سانو، قطب.(2006م، 6-8 مارس). *في التواصل مع الآخر: معالم وضوابط ووسائل*. ورقة علمية مقدمة إلى المؤتمر السنوي الثاني: نحن والآخر. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة.

السلمي، عبد الرحيم.(1430هـ). الانفتاح الفكري حقيقته وضوابطه. *مجلة الأصول والنوازل*، 1(1).

صالح، عبد الرحمن.(1988م). *دراسات في الفكر التربوي الإسلامي*. ط1. عمان: مؤسسة الرسالة.

صبري، مصطفى.(دت). *موقف العقل والعلم والعالم*. دط. دم: دد.

الصلابي، علي.(2005م). *سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب*. ط1. إربد: دار الكتاب الثقافي.

عبد الدايم، عبد الله.(2000م). *الآفاق المستقبلية للتربية في البلاد العربية*. ط1. بيروت: دار العلم للملايين.

عجالي، كمال.(2001م). موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من العلوم. *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*. (13).

العدوان، ناريمين.(2008م). *ملامح الانفتاح الثقافي في الفكر التربوي الإسلامي*(رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية، غزة

العلواني، طه جابر.(1995م). *أبعاد غائبة*. ط3. عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

عليمات، محمود.(2001م). الثقافة الإسلامية وتحدي العولمة. *مجلة إسلامية المعرفة*. 6(24).

العليوات، محمد والشبيب، عبد اللطيف.(1993م). *الإسلام والفكر المضاد*. ط1. بيروت: دار الصفوة.

عمارة، محمد.(2014م). *الإسلام والآخر: من يعترف بمن ومن ينكر من؟*. ط1. القاهرة: دار الشروق.

أبو عودة، عدنان.(2006م). *في كتاب مؤتمر: الوسطية بين التنظير والتطبيق*. ط1. عمّان: دار جرير.

عيد، عبد الحفيظ، *التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية*، ص156-157.

الغزالي، أبو حامد.(دت، أ). *المنقذ من الضلال*. دط. مصر: دار الكتب الحديثة.

الغزالي، أبو حامد.(دت، ب). *إحياء علوم الدين*. دط. بيروت: دار المعرفة.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب.(2005م). القاموس المحيط.(تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة). ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة.

القرضاوي، يوسف.(2000م). *ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق*. ط1. القاهرة: دار الشروق.

قطب، محمد.(1987م). *واقعنا المعاصر*. ط. السعودية: مؤسسة المهنة للصحافة والطباعة والنشر.

القريشي، علي.(1998م). التربية الحوارية دراسة في إشكاليات الخلاف والوحدة. *مجلة المسلم المعاصر*، (88)22.

كاريذرس، مايكل.(1990م). *لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ الثقافات البشرية: نشأتها وتنوعها*، (ترجمة: شوقي جلال). *سلسلة عالم المعرفة*. العدد 229.

الكيلاني، ماجد.(2005م). *مناهج التربية الإسلامية*. ط1. دبي: دار القلم.

لوبون، غوستاف.(1979م). *حضارة العرب*، (ترجمة: عادل زعير). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني.(دت). *سنن ابن ماجه*. (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي). دط. دم: دار إحياء الكتب العربية.

المدني، محمد.(2005م). *نظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب*. ط1. القاهرة: منشورات وزارة الأوقاف.

مراد، بركات.(2000م). ظاهرة العولمة رؤية نقدية، *سلسلة الأمة*، (86)21.

مسلم، مسلم بن الحجاج.(دت). *صحيح مسلم*. (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي). دط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الملقي، هيام. (1995م). *ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري*. ط1. السعودية: دار السواف للنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم.(1414هـ). *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر.

ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم.(1999م). *الأشباه والنظائر*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المواقع الإلكترونية

http://www.khayma.com/salehzayadneh/poets/shawqi.htm